

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بما لا العابدين معه غيره { من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم } أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد ثم قال تعالى : { الذي جعل لكم الأرض مهذا } أي فراشا قرارا ثابتة تسبرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون مع أنها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا { وجعل لكم فيها سبلا } أي طرقا بين الجبال والأودية { لعلكم تهتدون } أي في سيركم من بلد إلى بلد وقطر إلى قطر { والذي نزل من السماء ماء بقدر } أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم .

وقوله تبارك وتعالى : { فأنشأنا به بلدة ميتا } أي أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ثم نبه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها فقال : { كذلك تخرجون } ثم قال D : { والذي خلق الأزواج كلها } أي مما تنبت الأرض من سائر الأصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها { وجعل لكم من الفلك } أي السفن { والأنعام ما تركبون } أي ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال جل وعلا : { لتستوها على ظهوره } أي لتستوها متمكنين مرتفعين { على ظهوره } أي على ظهور هذا الجنس { ثم تذكروا نعمة ربكم } أي فيما سخر لكم { إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين } أي مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه قال ابن عباس Bهما وقتادة والسدي وابن زيد : مقرنين أي مطيقين { وإنا إلى ربنا لمنقلبون } أي لصائرون إليه بعد مماتنا وإليه سيرنا الأكبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الآخروي في قوله تعالى : { وتزودوا فإن خير الزاد التقوى } وباللباس الدنيوي على الآخروي في قوله تعالى : { وريشا ولباس التقوى ذلك خير } .

ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة .

(حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) B قال الإمام : حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق عن علي بن ربيعة قال : رأيت عليا B أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال : باسم الله فلما استوى عليها قال : الحمد لله { سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * } وإنا إلى ربنا لمنقلبون { ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقلت له : مم ضحكت يا أمير المؤمنين

؟ فقال B ه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثلما فعلت ثم ضحك فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : [يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري] وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الأحوص زاد النسائي ومنصور عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الأسدي الوالبي به وقال الترمذي : حسن صحيح وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة : قلت لأبي إسحاق السبيعي : ممن سمعت هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خباب فلقيت يونس بن خباب فقلت : ممن سمعته ؟ فقال : من رجل سمعه من علي بن ربيعة ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الأسدي عن علي بن ربيعة الوالبي به .

(حديث عبد الله بن عباس) هما B قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة [حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس B هما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرفه على دابته فلما استوى عليها كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وحمد ثلاثا وهلل واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال ما من امرء مسلم يركب فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عليه فضحك إليه كما ضحكت إليك] تفرد به أحمد .

(حديث عبد الله بن عمر) هما B قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارقي عن عبد الله بن عمر B هما قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال [سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون - ثم يقول - اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا] وكان صلى الله عليه وسلم إذا رجع إلى أهله قال : [آيبون تائبون إن شاء الله] عابدون لربنا حامدون] وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي قال : حملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبل من إبل الصدقة إلى الحج فقلنا : يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه فقال صلى الله عليه وسلم : [ما من بعير إلا في ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما آمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله D] أبو لاس اسمه محمد بن الأسود بن خلف .

(حديث آخر) في معناه - قال أحمد : حدثنا عتاب أخبرنا عبد الله وعلي بن إسحاق أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك أخبرنا أسامة بن زيد أخبرني محمد بن حمزة أنه سمع أبا به يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [على ظهر كل بعير شيطان فإذا ركبتموها فسموا
الله ثم لا تقصروا عن حاجاتكم]